ذكريات في دروب التغيرات المناخية

إسماعيل الجزولى ديسمبر ٢٠٢٥

قضيت حوالي ثمانية وعشرين عاما في العمل في التغيرات المناخية مقسمة من حيث الانتماء المهني لخمس جهات وهي المجلس الأعلى للبيئة والموارد الطبيعية وهي الوظيفة التي كنت اعيش عليها والجمعية السودانية لحماية البيئة والهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتغيرات المناخية ومقرها جنيف واتفاقية الأمم المتحدة الاطارية للتغيرات المناخية ومقرها بون وجمعية حماية المستهلك السودانية

خلال هذه الفترة سافرت الى كثير من الدول والدول الجزرية من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ومن اقصى الشمال الى اقصى الجنوب لحضور مؤتمرات واجتماعات تغير المناخ بعضها في سفريات تمتد الى خمسة عشرة ساعة واجتماعات طويلة وخاصة في اخر يومين قد يستمر الاجتماع أربعة وعشرون ساعة بل عند الموافقة على برتوكول كيوتو في بون استمر الاجتماع لمدة ستة وثلاثون ساعة متواصلة ليصل المجتمعون الى صيغة توافقية. تعلمت ومن كان معي في هذا المشوار تجارب ثرة ومعرفة بأسس المفاوضات ودراية بإدارة النقاش وخبرة في علوم تغير المناخ والمشاريع المصاحبة لها

هذا من جانب ولكن هناك بعض المحطات والذكريات وكانت السبب في هذا المقال اود ان اشير اليها بدون ترتيب زمني تقبع في قاع الذاكرة قبل ان تتزهمر (استقيتها من الزهايمر)

المحطة الأولى في مؤتمر المناخ في بون سنة٢٠٠٤ كان رئيس الوفد السوداني المرحوم التجاني ادم الطاهر أعظم من مر على وزارة البيئة كان يتابع معنا يوميا ويقرا كل المستندات ويناقش ولا يشعرنا بانه وزير بل شاركنا الطعام. بعد أسبوعين من العمل الشاق والمضنى وعدم النوم كما ذكرت سابقا توصل المؤتمر الى صيغة الحد الأدنى للقبول ونحن نتأهب للجلسة الختامية لإعلان الاتفاق فاذا برئيس المؤتمر الوزير مستر برونك (الذي أصبح لاحقا مندوب الامين العام للأمم المتحدة في دارفور تحت البند السابع او شيء من هذا القبيل) يطلب الاجتماع برؤساء الوفود فقط وواحد من الفنيين وعندها عرض عليهم تعديل طلبته اليابان وعندها طلب التجاني التحدث فارتجل خطبة عصماء في فن التوافق وقال انهم أيضا غير راضين بهذا الاتفاق ولكن قبلوا به كتوافق واذا فتح هذا الموضوع لليابان او غيرها كلنا نحن الافارقة لدينا نقاط وهذا يحتاج لمدة أربعة عشر يوما أخرى ارتجت له القاعة بالتصفيف الحار تلاه وزير البترول السعودي وقال ان الوزير السوداني اشجع منا اما الوزير الهندي رئيس مجموعة ال٧٧ والصين فقال انه يقف مع قاله الوزير السوداني وعليه اسقط الامر مما اضطر رئيس المؤتمر الاجتماع مع الوفد الياباني والمناصرين له واقر البرتوكول بحالته تلك. رحم الله اللواء التجاني فكان رحمه الله دائما يفتتح الورش في ميعادها بالضبط بل يطالبنا ان ندعو طلبة الجامعات لتلك الورش لاكتساب المعرفة وكان يداعبنا في ذلك في انه متكفل بإفطارهم إذا لا نستطيع ذلك

المحطة الثانية في مؤتمر كوبنهاجن عام ٢٠٠٩ ان لم تخنى الذاكرة فكان السودان رئيسا لمجموعة ال٧٧ والصين فقد ابلى الوفد السوداني وخاصة نائب رئيس الوفد الأخ السفير لوممبا (اين انت يا لومبا الان بعد انفصال الجنوب) وكان لتصريحاته وأراءه الجريئة صدى واسعا ووبالا على الدول المتقدمة مما كان دائما بعد الخروج من إي اجتماع يحاط بعشرات الصحفيين لسماع تصريح منه بل ان التلفزيون الدنماركي نظم حلقة كاملة ناقش فيها تصريحاته وفى اليوم الختامي للمؤتمر فوجئنا باتفاق كوبنهاجن والذى صيغ خارج اطار المؤتمر الذى كان يواصل الليل بالنهار ليرمي بجهود المؤتمر في سلة المهملات وعند عرضه بالرغم من ان الدول التي قامت بصياغته من الدول المتقدمة قد مارست ترهيبا وترغيبا للموافقة عليه مما اضطر السودان وبقية الدول في المجموعة ان تتحدث كفرادى بل ان معظمها وقفت مع الدول المتقدمة ولكن السودان وفنزويلا وبعض الدول الاخرى وقفت بالمرصاد لهذا الاتفاق وخاصة الأخ لومبا الذى تحدث اكثر من عشرين دقيقة مفندا هذا الاتفاق بلغة قوية بها بعض التجني للدول المتقدمة وذكرها بأفعال قديمة تلته مندوبة فنزويلا وهى سفيرة متمرسة اشارت الى ان هذا الاتفاق خارج المناقشات ولا يمكن اعتماده بل لا يجب ان يوضع في ورق المؤتمر المروس تلاها وزير البيئة البريطاني بعد ان أشاد بالاتفاق وكسبا للوقت اقترح التصويت عليه بعد ان ضمن كثير من الدول ولكن سفيرة فنزويلا طلبت نقطة نظام وقالت هل السيد الوزير لا يعلم ابسط الإجراءات هذه الاتفاقية ليس بها تصويت فقط بالإجماع ولك ان تسال بنك مون الأمين العام للأمم المتحدة على المنصة او نائب السكرتير التنفيذي للاتفاقية خاصة ان السكرتير التنفيذي احترم نفسه ولم يحضر اهم اجتماع في دورته ليشارك في هذا العبث ولذلك سقط اتفاق كوبنهاجن مما حدا بوزير البيئة البريطاني ان يصرح للصحف ان السودان وفنزويلا سطوا على الاتفاق وكان لومبا والسفيرة الفنزويلية عريسا ذلك اليوم إعلاميا

المحطة الثالثة في عام ٢٠١٤ في ليما بيرو مؤتمر المناخ كانت فترة رئاسة بتسوانا للمجموعة الافريقية قد انتهت وكانت الرئاسة القادمة من نصيب شرق افريقيا وترشح لها أربعة دول السودان وتنزانيا وكينيا وأوغندا وكونت لجنة برئاسة اثيوبيا ومن كل دول شرق افريقيا لحسم الموضوع وبعد اجتماعات ماراثونية اقنعنا ومعي دكتور شداد كينيا وأوغندا على التنازل

وتنازلتا مشكورين واصرت تنزانيا على عدم التنازل ولذلك عرضنا من المستندات احقية السودان خاصة ان تنزانيا كانت رئيسة الهيئة الفرعية للعلوم والتكنلوجيا وستنتهى فترة رئاستها بذلك المؤتمر ولذلك نال السودان موافقة كل الأعضاء وبالطبع ليس تنزانيا و فاز بالرئاسة مرشحنا الأخ الخبير نجم الدين قطبي لمدة عامين ابلى فيها بلاء حسنا ونظم عمل المجموعة الافريقية بتكوين اللجان لجنة لكل موضوع ما جعل كل أعضاء المجموعة مشاركون في اتخاذ القرارات لأول مرة مما اكسبه احترام الجميع سواء في هذه المجموعة او المجموعات الأخرى كمجموعة ال٧٧ والصين وغيرها وجدير بالذكر انه تم أيضا اختياري عضوا بالمكتب التنفيذي للاتفاقية وكأحد نواب رئيس المؤتمر لمدة عامين أيضا وكان وقتها وزير خارجية فرنسا رئيسا للمؤتمر الذى أجاز اتفاقية باريس .الأخ نجم الدين قاد هذه المجموعة بكل صبر وحنكة ورؤية واقتدار في المناقشات المضنية التي توجت باتفاقية باريس وكان للمجموعة الافريقية القدح المعلى في هذه الاتفاقية ويعد في نظر معظم الافارقة ان هذه الدورة والتي تراسها السودان انجح دورة في تاريخ مؤتمرات المناخ منذ الدورة الأولى في بون المانيا عام ١٩٩٥

المحطة الرابعة محطة محلية وكنت حينها امين المال بالجمعية وكان الرجل القامة الخبير المالي الاخ المرحوم محمد الفحل ان أتاني بمقترح مشروع يؤمن للجمعية مصادر دخل مشروعة وتوفيرها لشراء مقر للجمعية خاصة ان الإيجارات قصمت ظهرها وكان مشروعا ممتازا طلبت منه بعد ان ادرجته في اجندة اللجنة التنفيذية ان يقوم بعرضه على اللجنة فعرض ووافقت عليه اللجنة بالأجماع ومما اذهلني حقا بعد سنوات قليلة وانا خارج اللجنة التنفيذية ان نجح الأخ الفحل ليس في تقديم ذلك المقترح الممتاز بل تنفيذه وشراء مقر ملك للجمعية أوقف نزيف الإيجارات كما لعب أيضا دورا محوريا في تخصيص قطعة ارض في الحديقة العالمية والحصول على تمويل لتشييدها كمركز للمعلومات رحمك الله فأعمالك تشهد عليك

هناك محطات صغيرة وذكريات حبيبة الى نفسى منها اليوم الذى التحقت فيه بالمجلس الأعلى للبيئة والموارد الطبيعية حين أحاطني بالحب والتقدير الرجل الحبوب والمحبوب والصديق الوفي فيما بعد المرحوم الدكتور نادر محمد عوض بل له الفضل بعد الله تعالى ان رشحني في عام ٢٠٠٢ للمكتب التنفيذي للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ في جنيف سويسرا حيث تدرجت في مناصبها من نائب رئيس لجنة التخفيف ثم نائب رئيس الهيئة ثم رئيسا مكلفا لهذه الهيئة العلمية ويوم ان قادني اب العمل الطوعي والمسئولية الاجتماعية الرجل القامة الموسوعي المعرفة الأخ الذى لم تلده امى المرحوم الدكتور عبد الرحيم بلال قادني لأول مرة لمقر الجمعية في أوائل الثمانينات وهناك تعرفت على أبو البيئة الرجل العالم الخلوق المحترم المرحوم الدكتور معتصم نمر وبعدها تعرفت على كثير من الاخوة والاخوات ومنهم الأبناء من الشباب والشابات رحم الله من انتقل للرفيق الأعلى وامد الله في عمر من يكابدون الحياة معنا في دروب البيئة وانشطتها المختلفة وهنا لا بد من الإشارة لمنشطين لأهميتهما أولها مؤتمرات الفروع وهى مؤتمر الفروع في اركويت المرحوم محمد احمد ومؤتمرالسوكى المرحوم الطاهر بكرى ومرافقة رجل من الامن معنا فى تلك الرحلة ان تذكر يا دكتور عيسى ومؤتمرالدويم والاخ الذى ابتاع عجلا واراد ان يحمله معنا في البص ومؤتمر سوبا . والمنشط الثاني هو المنتدى البيئة والفطاحلة الذين كانوا يشاركون فيه والذي اعطى بعدا علميا واعلاميا للجمعية لما كان يناقش فيه موضوعات حية وساخنة رحم الله رئيس المنتدى المغفور له إبراهيم منعم منصور ومقرر المنتدى الإداري المحنك والرجل المنظم الأخ المرحوم الأستاذ على الخليفة الحسن. بالرغم من أهمية هذين المنشطين الا انها اختفت الان من انشطة الجمعية ارجو ان نساهم كلنا في عودتهما هل من عودة هل؟؟؟ بل من عودة ان شاء الله

من الأيام التي لن انساها ثلاثة أيام قضيناها بالفاتيكان في ضيافة البابا بولس السادس الذى انتقل للرفيق الاعلى قبل شهور عندما دعانا انا كرئيس للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ والدكتور اخيم اشتاينر المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة للتفاكر في الخطاب الذى سيلقيه في الامم المتحدة والخاص بحث العالم لمجابهة تغيرات المناخ والحد من تأثيراته الضارة كما لن انسى يوم فاجأتني مديرة جامعة استون بيرمنجهام بإنجلترا برسالة الكترونية بان وسائل الاعلام العالمية نقلت انتخاب إسماعيل الجزولي كرئيس للهيئة الحكومية للمناخ فهل انا نفس الشخص الذى حضر معهم الماجستير سنة ١٩٨٠ فرديت إيجابا ثم طلبت منى تسجيل خطاب يبث للطلبة في يوم تغير المناخ الذى تقيمه الجامعة سنويا وبعدها تمت دعوتي وأسرتي لإنجلترا ومنحى درجة الدكتوراه العليا الفخرية (.DSc) في مجال العلوم التطبيقية والهندسة

اختم هذه الذكريات بشكري للجمعية والكل المنتمين لها لما تعلمته منهم من علم غير موجود في المؤسسات التعليمية ليس ذلك فقط بل تم تكريمي مرتين واحدة بعد انتخابي رئيسا مكلفا للهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ وكواحد من الذين شملتهم جائزة نوبل التي منحت للهيئة بالاشتراك مع ال قور نائب الرئيس الأمريكي الأسبق والمرة الثانية حينما نظمت الجمعية مع السفارة الفرنسية في الخرطوم وبتمويل من السفارة برنامجا لتغير المناخ قبل مؤتمر باريس شمل محاضرة واحتفال وملصقات بالإضافة لجائزة باسم إسماعيل الجزولي لأحسن مقالين للتغيرات المناخية حصرت فيها المنافسة على الشباب من الجنسين بجائزة دعوة الفائزين لحضور مؤتمر باريس بكل التمويل

وأخيرا جدا ارجو ان نرفع القبعات للذين يتولون زمام العمل في الجمعية في هذه الظروف الصعبة أعضاء اللجنة التنفيذية وخاصة الأخ على محمد على رئيس الجم وعادل احمد على المدير التنفيذي والاستاذة امنة فيصل سكرتيرة الجمعية.